جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية بأسيوط
المجلة العلمية

مبادئ التخاطب في الخطاب السياسي
[مناظرة النبى ﷺ لعتبة بن ربيعة نموذجاً]

The Principle Of Communication In The Political
The Prophet's Debate And Otba Been Rabia]Discourse
[Model

إعـــداد
د/ عبد العزيز صابر عبد العزيز
أستاذ علم اللغة المساعد – كلية دار العلوم جامعة المنيا

(العدد الثالث والأربعون)
(الإصدار الرابع-نوفمبر)
(الجزء الأول (١٤٤٦هـ /٢٠٢٤م)

الترقيم الدولي للمجلة (ISSN) *2536- 9083*
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٢٠٢٤/٦٢٧١م

مبادئ التخاطب في الخطاب السياسي [مناظرة النبي ﷺ لعتبة بن ربيعة نموذجاً

عبد العزيز صابر عبد العزيز

قسم اللغة العربية، كلية دار العلوم، جامعة المنيا، مصر.

البريد الإلكتروني: *azizsaber2020@yahoo.com*

الملخـــص:

يهدف هذا البحث إلى بيان الدور المهم الذى تقوم به مبادئ التخاطب في الخطاب السياسى؛ إذ إن لهذه المبادئ تؤدى دوراً مهماً في ربط الكلام، فهذه المبادئ تضمن السير الحسن لعملية التخاطب. وبناءً عليه، فينبغى على أفراد العملية التواصلية بتجسيدها من خلال التواصل اللغوى. وقد كان اختيارى لهذه المبادئ؛ لما لها من حضور قوى داخل المدونة النصية [مناظرة النبى ﷺ لعتبة بن ربيعة]. لقد حاول البحث الإجابة عن السؤال المحورى الآتى:- هل يأتى التعاون والتأدب الأقصى في الخطاب السياسى من باب الخداع والتمويه أم من باب الصدق والنية الخالصة؟ وتوصل البحث إلى مجموعة من النتائج؛ منها:-[١] أن هذه المبادئ تعد من المبادئ الأساسية التى يرتكز عليها الاستلزام الحوارى. [٢] ظهر من خلال البحث الدور المهم الذى تؤديه هذه المبادئ في ربط الكلام. [٣] التزام الطرفين [النبى ﷺ/ عتبة بن ربيعة] بهذه المبادئ أسهم بشكل فعال في سير المناظرة إلى قمة التأدب والتلطف.

الكلمات المفتاحية: مبدأ التعاون، مبدأ التأدب، مبدأ التأدب الأقصى، الخطاب السياسي.

Principles Of Communication In Political Discourse [The Prophet's Debate By Utbah Bin Rabia As A Model

Abd El , Aziz Saber Abd El , Aziz
Assistant Professor of Linguistics , Faculty of Dar Al Uloom , Minia University

Email: *azizsaber2020@yahoo.com*

Abstract

The principle of communication in the political discourse]The prophet's debate and Otba Been Rabia model The purpose of this research is to demonstrate the important role played by the principles of communication in political discourse; these principles play an important role in linking speech. These principles guarantee the proper functioning of the process of communication. Consequently, the members of the communication process should be translated through linguistic communication .I have chosen these principles; because they have a strong presence within the text code [the prophet's debate of the Otba Ben Rabi .[' He tried to look for the answer to the axial question: Does the utmost cooperation and politeness in political discourse come from deception and camouflage or from pure honesty and intent ?The research yielded a series of findings, including--: -1These principles are among the fundamental principles underlying dialogue. -2The important role these principles play In linking speech has emerged through research. -3The commitment of the parties to these principles has effectively contributed to the debate ' s progress to the height of politeness and kindness.

Keywords: ***The Principle Of Cooperation, The Principle Of Politeness, The Principle Of The Utmost Politeness, The Principle Of Political Discourse.***

[١] الإطار العام:

يهدف هذا البحث [مبادئ التخاطب في الخطاب السياسي ... مناظرة النبي ﷺ لعتبة بن ربيعة نموذجًا] إلى بيان الدور المحوري الذى تقوم به هذه المبادئ في الخطاب السياسي؛ إذ إنها تؤدى دورًا مهمًا في ربط الكلام وتماسكه، وهو الأمر الذى جعل الدكتور طه عبد الرحمن(١) يدرج التعامل الأخلاقي في التواصل ضمن مجموعة من المبادئ التي وضعها العلماء الغربيون، وهي:-

[١] مبدأ التعاون [جرايس]

[٢] مبدأ التأدب [لاكوف]

[٣] مبدأ التأدب الأقصى [ليتش].

وفى المدونة المدروسة [مناظرة النبي ﷺ لعتبة بن ربيعة] دلالات واضحة للجنوح إلى هذه المبادئ الثلاثة من الطرفين؛ طلبًا لتحقيق هدف كلّ منهما.

وبناءً عليه، سيتضح – من خلال تحليلنا لهذه المدونة – أهمية هذه المبادئ في تحقيق تماسك الكلام؛ حيث إن المسلك العاقل الذى سلكته المناظرة في معظم أطوارها، يؤكد تعاون الطرفين تعاونًا بشكل لافت للنظر؛ رغبة في تحقيق أهدافهما؛ فمن الدلائل الواضحة التي تؤكد تعاون الطرفين وتأدبهما، طريقة إصغاء كل منهما للآخر دون مقاطعة أحدهما للآخر.

وقد كان اختياري لدراسة هذه المبادئ بالذات؛ لما لها من حضور قوى داخل هذه المدونة النصية، حتى أنني أستطيع أن أقول: إن هذه المبادئ الثلاثة تعدُّ من أهم

---

(١)د. طه عبد الرحمن: اللسان والميزان أو التكوثر العقلى، المركز الثقافى العربى، بيروت، ط١، ١٩٩٨م، ص٢٣٧.

مبادئ ضبط الخطاب؛ لأن الالتزام بهذه المبادئ مجتمعة يسهم بشكل فعال في سير الخطاب بالشكل المطلوب؛ تحقيقًا للتأدب والتلطف.

هذا عن الموضوع، أما عن المناظرة [موضوع البحث]، فقد حدثت تطورات مهمة في ذلك الوقت؛ حيث أسلم رجلان مهمان من رجالات قريش وهما: حمزة بن عبد المطلب، وعمر بن الخطاب رضى الله عنهما، وبإسلام هذين الرجلين تغيرت مراكز القوى في شبه الجزيرة العربية، ولم يكن لهذا التغيير بخافٍ على المشركين، فقد باتت الدعوة الإسلامية تتسلل إلى داخل بيوتهم.

والحقيقة أنه إزاء هذه الأحداث لم يقف المشركون مكتوفي الأيدي، وهم يرون انتشار الإسلام بهذا الشكل، وأمام هذه الأحداث الخطيرة والمحورية، فقد رأى المشركون ضرورة إيجاد حل لهذه المشكلة؛ لمواجهة التداعيات الأخيرة التي باتت تهددهم [على حسب زعمهم]؛ حيث تقدم [عتبة بن ربيعة] أحد حكماء قريش والرجل الأول فيها باقتراح قائلًا: [يا معشر قريش، ألا أقوم إلى محمد، فأكلمه وأعرض عليه أمورًا لعله يقبل بعضها فنعطيه أيها شاء، ويكف عنّا] (١).

وكان هذا الاقتراح تنازلًا من زعماء قريش، وهذا إن دلَّ على شيء، فإنما يدل على مدى تغير الوضع في مكة بعد إسلام حمزة بن عبد المطلب، وعمر بن الخطاب رضى الله عنهما، ومع أن هذا العرض كان على غير هوى الكثيرين من زعماء قريش إلا أنهم قد وافقوا مضطرين، فقالوا: [بلى يا أبا الوليد، قم إليه فكلّمه] (٢).

---

(١) ابن هشام [عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميرى ت٢١٣هـ]: السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبيارى، دار المعرفة، بيروت، لبنان، د.ت، ج١/ ٣١٣.

(٢) نفسه، ج١/ ٣١٣.

[٢] إشكالية البحث:

من خلال هذا البحث سأحاول – بمشيئة الله تعالى – أن أجيب عن مجموعة من الأسئلة الآتية:-

أ- كيف تسهم هذه المبادئ في إنجاح المناظرة؟

ب- ما الآليات التي يسلكها كل من المتناظرين في تحقيق أهدافهما؟

ج- أيٌّ هذه الآليات أنجح وأنجز في تحقيق المطلوب؟

د- هل تأتي هذه [المبادئ الثلاثة] في الخطاب السياسي من باب الخداع والتمويه أم من باب الصدق والنية الخالصة؟

وسنعمل في هذا البحث على مناقشة تلك التساؤلات بالتطبيق على المناظرة التي جرت بين النبي ﷺ وعتبة بن ربيعة.

[٣] الدراسات السابقة:

لم تُعْنَ دراسة سابقة بدراسة مبادئ التخاطب وتطبيقها على المدونة النصية [موضوع البحث]، ولكن هناك دراسات تناولت كل مبدأ على حدة؛ منها:-

[أ] استراتيجيات خطاب المسؤول في جائحة كورونا وفق مبدأ التأدب... خطاب وزير الصحة السعودي نموذجًا، د. حمود بن إبراهيم العصيلي، مجلة العلوم العربية، جامعة الإمام محمد بن سعود، العدد [٦٩]، ٢٠٢٣م.

[ب] مبدأ التأدب في الخطاب النثري في العصر العباسي الأول، رائد عماد أحمد، مجلة دراسات البصرة، جامعة البصرة، العدد [٤٩]، ٢٠٢٣م.

وسعى هذا البحث إلى مدى تحقيق الخطاب النثري في العصر العباسي لقواعد مبدأ التأدب، ومحاولة مناقشتها وفق المبدأ اللساني التداولي.

[ج] المناظرات النحوية في مجال الحكم... دراسة في ضوء مبدأ التأدب، عرفات فيصل المناع، الجمعية العلمية للدراسات، مج[٥]، ٢٠٢٣م.

وسعت هذه الدراسة إلى دراسة المناظرات النحوية في مجالس الحكم؛ لما لهذه المجالس من هيبة تأخذ شكلها من هيئة صاحب المجلس نفسه، وتفرض على المتناظرين أن يلتزما بآداب المجلس في أثناء التناظر فيما بينهما.

[د] قوانين الخطاب من غرايس إلى طه عبد الرحمن... دراسة نقدية، عمر بو قمرة، مجلة أمارات في اللغة والأدب والنقد، مج[٥]، عدد [٢]، جامعة حسيبة بن بوعلى، الشلف، الجزائر، ٢٠٢١م.

اهتم البحث بدراسة الضوابط الموضوعية والأخلاقية للفعل التحاوري، التي من شأنها أن تضمن السير الحسن لعملية التخاطب، وقد قَدّم الباحث عدة مآخذ على مبدأ التعاون، والتأدب.

[هـ] التأدب مبدأ خطابيًا... دراسة تطبيقية في الخطاب الروائي... رواية [لافييت] لهند الزيادي أنموذجًا، عبد الستار الجامعي، العدد [١٤]، مؤسسة مؤمنون بلا حدود، ٢٠٢٠م.

[و] مبدأ التأدب في خطاب الرئيس المصري محمد أنور السادات في الكنيست الإسرائيلي، مجلة الخطاب، عماد سعد شعير، جامعة مولو معمري تيزي وزو، كلية الآداب واللغات، المجلد [١٥]، العدد [١]، ٢٠٢٠م.

وسعى هذا البحث إلى إبراز دور التأدب في الخطاب السياسي للرئيس محمد أنور السادات في الكنيست الإسرائيلي ٢٠ فبراير ١٩٧٧م في تقريب الأطراف المتناحرة، والكشف عن توجه السادات ونيته تجاه الآخرين، وتوافر آليات التأدب في الخطاب، وذلك من خلال تطبيق نظرية التأدب لـ [وليفنسون].

[ز] قواعد مبدأ التعاون التخاطبي عند جرايس بين الالتزام والاختراق، فتيحة بن زرام، مجلة اللغة والتواصل، المجلد [٦]، العدد [٣]، ٢٠٢٠م.

وسعى هذا البحث إلى الكشف عن مبدأ التعاون وقواعده، ومدى التزام أقطاب العملية التحاورية بتجسيدها من خلال التواصل اللغوي.

[ح] مبدأ التعاون عند جرايس... تجليات حضوره عند السكاكي، يوسف رحايمي، مجلة جيل للدراسات الأدبية والفكرية، العدد [٣٢]، ٢٠١٧م.

حيث سعى البحث إلى الوقوف عند مبدأ التعاون عند جرايس وإبراز حضوره في الفكر اللغوي العربي القديم من خلال كتاب مفتاح العلوم للسكاكي مع التركيز على قضية خروج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر، كما سعى هذا البحث إلى الكشف عن إرهاصات البعد التداولي عند البلاغيين العرب رغم تباعد الزمن واختلاف المنطلقات.

[ط] تداولية مبدأ التأدب في إنجازية الفعل الكلامي، عبد الحليم بن عيسى، جامعة أحمد دراية أدرار، العدد [٩]، ٢٠١٦م.

وسعى هذا البحث إلى مناقشة طبيعة مبدأ التأدب وقواعده وأثره في ضمان النجاح للفعل الإنجازي.

[ى] خرق مبدأ التعاون في مسرحية موت بائع متجول لآرثر ميلر، منال محمد عبد الناصر، مجلة كلية الآداب، جامعة عين شمس، المجلد [٣٦]، يونيه، ٢٠٠٨م.

ومن خلال استقرائنا لهذا الدراسات، لاحظنا أن كل هذه الدراسات – على الرغم من كثرتها– تناولت مبدأ واحدًا لا غير مع التطبيق على مدونات نصية مختلفة، أما دراستنا فتختلف عن تلك الدراسات في أنها تناقش هذه المبادئ الثلاثة مجتمعة بالتطبيق على مناظرة مهمة لها طبيعتها الخاصة، وهي المناظرة التي جرت بين النبي ﷺ وعتبة بن ربيعة.

[٤] منهج البحث:

يروم هذا البحث الكشف عن مبادئ التخاطب الثلاثة في الخطاب السياسي، وتطبيقها على المدونة النصية (موضوع البحث)، لذلك اعتمدت على إجراءات المقاربة التداولية.

[٥] مادة البحث:

سنعتمد في بحثنا على تطبيق المبادئ الثلاثة [التعاون – التأدب – التأدب الأقصى] وذلك من خلال نص المناظرة الوارد في السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ شلبي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، د.ت

وتحقيقًا لأهداف البحث الرامية إلى بيان الدور المهم الذى تؤديه هذه المبادئ الثلاثة في تماسك الكلام، وضبط الخطاب، فقد جاءت محاور البحث على النحو الآتي:-

[١] مفاهيم ومصطلحات.

[٢] تحليل المناظرة.

[٣] حواشي البحث.

[٤] نتائج البحث.

[٥] قائمة المصادر والمراجع.

[١] مفاهيم ومصطلحات

[أ] مبدأ التعاون:

لقد تبنى [جرايس] مقترحات عديدة لتأويل العبارة أو الجملة؛ حيث أكد على ضرورة إيجاد حلٍّ لهذا الإشكال؛ ففي مقاله الشهير [المنطق والمحادثة الذى نشر عام ١٩٥٧م]، اقترح جرايس(١) مبدأ عامًا من مبادئ التخاطب، وهو مبدأ [التعاون]؛ فأي عملية تحاورية ليست مجرد سلسلة من الكلام المرصوف، بل هى ثمرة تعاون بين كل من المتكلم والسامع على حد سواء، وفى هذا السياق يقول: "ويمكننا صياغة مبدأ تقريبي إجمالي، سنتوقع في الغالب احترامه من جميع المتحاورين، وأعنى به – لتكن مساهمتك في المحادثة موافقة لما يتطلبه منك ما تم ارتضاؤه من هدف أو جهة للمحاورة التي اشتركت فيها، ويمكن تسمية هذا مبدأ التعاون"(٢).

لذلك كله، فقد طرح [جرايس] نظريته [مبدأ التعاون]، وهو المبدأ التداولي الأول لضبط الخطاب، وصيغته كالآتي:-

[ليكن انتهاضك للتخاطب على الوجه الذى يقتضيه الغرض منك] (٣). والحقيقة أنه قد تفرع عن هذا المبدأ الرئيس أربعة مبادئ ثانوية، وهي كالآتي(٤):

---

(١) جرايس: المنطق والمحادثة، ترجمة: محمد الشيبانى، سيف الدين دغفوس، مجلة سيمائيات، جامعة وهران، الجزائر، العدد [١]، ٢٠٠٥م، ص١٨٨.

(٢) نفسه، ص١٨٨.

(٣) حول هذا المبدأ ينظر:

Searle (J): Logic and conversa on trard, Fr, (in) communication, No. 30, 1979, p. 45-46, J: linguistic semantics, An Introduction, Cambridge University press, 1996, p. 277.

(٤) للمزيد حول هذه المبادئ الثانوية ينظر:

- شاهر الحسن: علم اللغة السيماتيكية والبراغماتية في اللغة العربية، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ٢٠٠١م، ص١٦٩.

←←←

- مبدأ الكم *Principle of quantity*
- مبدأ الكيف *Principle of quality*
- مبدأ العلاقة *Principle of relation*
- مبدأ الجهة *Principle of manner*

إذن، يتضح مما سبق أن الهدف من مبدأ التعاون هو "وضع أسس وقوانين منضبطة للحوار، محترمة من طرفي التواصل، حتى وإن لم يشعرا بها أو يعرفاها، فهي معروفة ومركوزة في سليقة المتكلمين، يفترض المتخاطبون على بعضهم الاحترام المتبادل لهذه القواعد، بما يسمح للمتقبل أن ينشئ الدلالة المناسبة، فعلى المخاطب أن ينحرف عن الدلالة الحرفية، ويتجاوزها ويبحث عن دلالة استلزامية غير مباشرة، يجدها في مظان القول، وهذا يفسر سبب الفشل في أي حوار لا يحترم تلك القواعد[١].

وعلى الرغم من الطرح الذى طرحه (جرايس) حول هذا المبدأ؛ وذلك باعتباره مبدأ مهمًا من مبادئ التداولية[٢] أقول على الرغم من ذلك، فإنه لم يسلم من الانتقادات التي وجهها له غيره في هذا الصدد.

ويمكننا إيجاز هذه الانتقادات على النحو الآتي:-

←←←

- د. عبدالله جاد الكريم: التداولية في الدراسات النحوية، مكتبة الآداب، القاهرة، ط١، ٢٠١٤م، ص٤٦.

(١) د. باسم خيرى خضير: التداولية وتحليل الخطاب... الرؤى والتمثلات، الشركة العربية المتحدة للتسويق، القاهرة، ط١، ٢٠١٧م، ص٩٢.

(2)Thomas, J: Meaning in interaction, An introduction to pragmatics, Longman , London and New York, 1996, P. 89.

– تداخل هذه المبادئ الثانوية وعدم استقلاليتها؛ حيث يمكن ضم مبدأ الكم والكيف إلى مبدأ العلاقة، وهو ما أطلق عليه العرب مراعاة مقتضى الحال، الأمر الذى جعل أحد الباحثين المعاصرين يربط بين التداولية ومقتضى الحال، فنراه يقول: "ويأتي مفهوم التداولية هذا ليعطي طريقة منهجية منظمة المساحة التي كان يشار إليها في البلاغة القديمة بعبارة [مقتضى الحال]؛ وهي التي أنتجت المقولة الشهيرة [لكل مقام مقال]" (١) .

– تركيزه الشديد على الجانب التبليغي فقط، وإهماله للجانب التهذيبي، والذى يتمثل في الجانب الأخلاقي(٢) .

ومهما يكن من أمر، فإن الفضل في استخراج مجموعة من المبادئ الحوارية المنظمة للتواصل المثالي يرجع – بلا ريب – إلى [جرايس] الذى عمد إلى الاهتمام بالمعاني الضمنية.

والمخطط الآتي يوضح مبدأ التعاون، ومبادئه الثانوية التي تفرعت عنه:

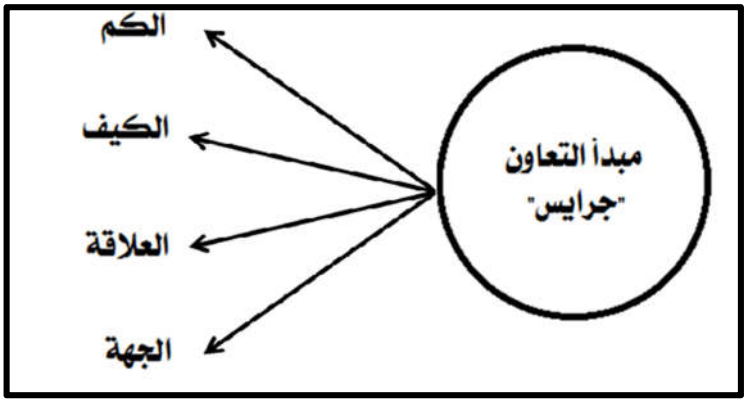

(١) د. صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص، عالم المعرفة، العدد [١٦٤]، الكويت، ١٩٩٢م، ص٢٦.

(٢) د. آمنة بلعلى: المنطق التداولي عند طه عبد الرحمن وتطبيقاته، مجلة اللغة والأدب، جامعة الجزائر، ملتقى علم النص، العدد [٩٧]، ٢٠٠٦م، ص٢٨١.

[ب] مبدأ التأدب:

في مقالتها الشهيرة [منطق التأدب]؛ دعت لاكوف إلى تطوير المبادئ التي طرحها [جرايس]؛ إذ إنها أخذت على الباحثين ضيق نظرتهم، وعدم شموليتها؛ حيث اكتفوا بالجانب الشكلي لا غير، ومن ثم، رأت لاكوف أن الجانب الشكلي لا يمكن أن يجعلنا نقدم تفسيرًا مقبولًا لبعض التراكيب، وبناءً عليه، فقد "دعت إلى ضرورة الاهتمام بسياق التلفظ، وما يتضمنه من افتراضات منطقية وتداولية"(١).

وينص هذا المبدأ على: [لتكن مؤدبًا – لتكن واضحًا] (٢) .

والجدير بالذكر أن مبدأ التأدب الذى طرحته لاكوف، قد تفرع عنه ثلاث قواعد مهمة، وهي:– قاعدة التعفف. – قاعدة التشكك. – قاعدة التودد(٣) .

والمخطط الآتي يوضح مبدأ التأدب، وقواعده الثلاث:

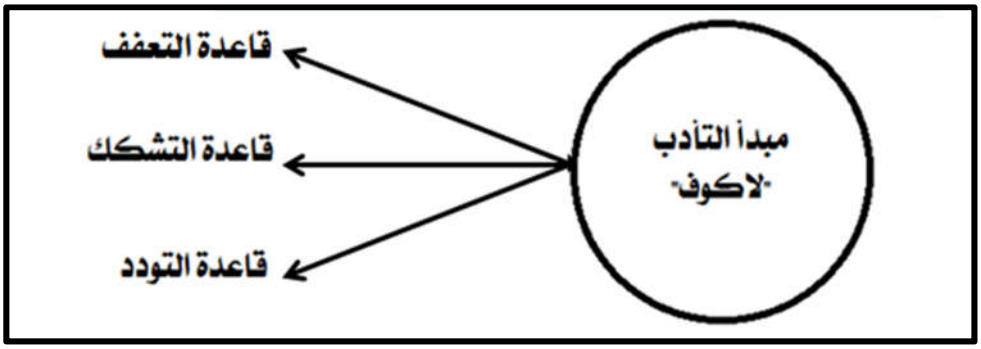

---

(١) د. عبد الهادى بن ظافر الشهرى: استراتيجيات الخطاب، مقاربة تداولية، دار الكتاب الجديد، المتحدة، بيروت، ط١، ٢٠٠٤م، ص٩٧.

(٢) نفسه، ص٩٧.

(٣) حول هذه القواعد ومقتضياتها ينظر:

Robin Lakoff: The logic of politeness, In papers from the ninth regional meeing Chicago, Linguisc Society, 1973, P. 292..

وكما وجهت سهام النقد إلى [مبدأ التعاون]، فإن [مبدأ التأدب] لم يسلم هو أيضًا من النقد؛ فمن أوجه النقد التي وجهت إليه:

– افتقاره إلى الوظيفة العملية المتعلقة بالقواعد الثلاث التي يشملها مبدأ التأدب.

– بعض القواعد التي شملها مبدأ التأدب تتفق مع مبدأ التعاون تارة، وبعضها يناقضه تارة أخرى.

– تتسم قواعد مبدأ التأدب بالتدرج، وهذا التدرج يسهم في إقصاء بعض القواعد لبعض[1] .

[ج] مبدأ التأدب الأقصى:

في كتابه [مبادئ التداوليات] طرح ليتش مبدأ التأدب الأقصى، وعدَّه متممًا لمبدأ التعاون، وقد طرحه في صورتين:

الأولى منهما: سلبية، والأخرى إيجابية؛ حيث تنص الصورة الأولى على "التقليل من الكلام غير المؤدب".

وتنص الصورة الأخرى [الإيجابية] على "الإكثار من الكلام المؤدب"[2] .

ولقد تفرع من هذا المبدأ ست قواعد؛ وهي كالآتي:–

---

(١) حول هذه الانتقادات بالتفصيل ينظر:

– د. آمنة بلعلى: المنطق التداولي عند طه عبد الرحمن وتطبيقاته، ص٢٨٢.

– د. طه عبد الرحمن: اللسان والميزان أو التكوثر العقلى، ص٢٤٢..

(٢) د. عمر بوقمرة: قوانين الخطاب من جرايس إلى طه عبد الرحمن... دراسة نقدية، مجلة أمارات في اللغة والأدب والنقد، المجلد [٥]، العدد [٢]، ٢٠٢١م، ص٥٢.

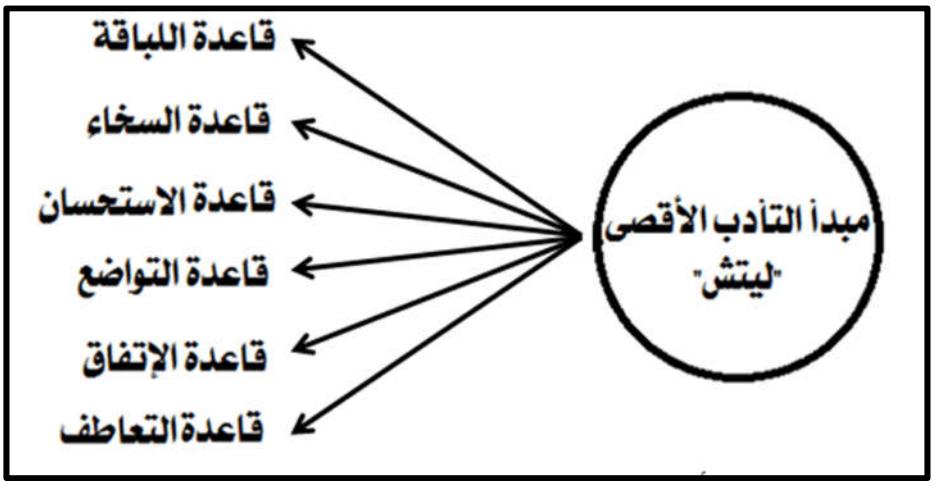

والملاحظ أن هذه القواعد الست تتسم بمراعاة البعدين الاجتماعي والنفسي؛ حيث رأى ليتش أن مبدأ التعاون غير كافٍ وقواعده ليست شامله للغة التخاطب، ولكن لم يسلم هذا المبدأ من الانتقاد، فقد ذكر الدكتور طه عبد الرحمن أن مبدأ التأدب الأقصى تشوبه نزعتان:

الأولى: النزعة اللا تناظرية، ومعناها: أن كل ما كان مهذبًا بالنسبة للمخاطب فهو غير ذلك للمخاطِب، والعكس بالعكس.

الأخرى: النزعة البراجماتية، وتعتمد هذه النزعة على مفهومي الربح والخسارة؛ بمعنى أن الأقوال الصادرة عن المتخاطبين تقدر بحسب الفائدة التي تدرَّها على صاحبها، أو الخسارة التي تلحقها به[1].

(١) د. طه عبد الرحمن: اللسان والميزان أو التكوثر العقلى، ص٢٤٨.

[د] المناظرة:

تعرف المناظرة بأنها [شكل من أشكال الخطاب العام، وهي عبارة عن مواجهة بين اثنين أو أكثر حول قضية معينة] (١) .

وقد وضع العلماء شروطًا عامة للمناظرة من شأنها أن تسهم في نجاح أى مناظرة(٢) ، والحقيقة أن المناظرة التي بين أيدينا قد تحققت فيها هذه الشروط كافة؛ لأن طرفا المناظرة [النبي ﷺ وعتبة بن ربيعة] كانا حريصين كل الحرص على نجاح مناظرتهما.

[٢] تحليل المناظرة

بادئ ذي بدء نستطيع أن نقول: إن المناظرة التي دارت بين النبي ﷺ وعتبة ابن ربيعة لم تكن مجرد مناظرة عادية، بل كانت مناظرة في منتهى الخطورة؛ حيث ترتب عليها أمور مهمة كان لها دور بالغ في الدعوة الإسلامية؛ حيث هدف الأخير منهما إلى إقصاء النبي ﷺ عن دعوته، فكان عتبة بن ربيعة حريصًا كل الحرص على تحقيق هدفه الأساسي الذى من أجله أرسله رجالات قريش إلى النبي ﷺ، فاستعمل في سبيل تحقيق ذلك كل أساليب الترغيب والترهيب التي من شأنها أن تؤثر على النبي ﷺ، ومع كل ذلك الحشد من أساليب الإغراء والتحذير، إلا أنها لم تفلح مع النبي ﷺ، ورجع عتبة بن ربيعة لقومه كما جاء.

---

(١) د. محمد عبد القادر: من أدب الجدال والمناظرة *www.alukan.net* تاريخ الدخول ٢٠٢٤/٦/١م.

(٢) لمعرفة هذه الشروط ينظر:

- عبد الرحمن حسين الميدانى: ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، دار التعلم، دمشق ، ط٧، ٢٠٠٤م، ص٣٧١.

وسوف يتضح من خلال تحليلنا للمناظرة كيف التزم الطرفان بالمبادئ الثلاثة [التعاون – التأدب – التأدب الأقصى]؛ حتى يحقق كل منهما أهدافه، وسنتناول كل مبدأ على حده؛ حتى يتضح دوره في الخطاب، ناهيك عن الآليات التي يسلكها كل طرف؛ للتأثير على الآخر.

أولًا: مبدأ التعاون:

لا شك أنه إذا تناظر طرفان، فلا بد من أنهما يحرصان كل الحرص على تحقيق أهدافهما من وراء هذه المناظرة، وإلا فما الفائدة منها؟

لذلك، يسعى كل طرف من خلال المناظرة أن يحقق ما يصبو إليه.

إن المناظرة التي بين أيدينا [موضوع البحث] قد احتوت على العديد من القواعد التي تفرعت عن المبدأ الأساسي [التعاون]، وهذه القواعد هي:-

[أ] قاعدة الكم:

وتركز هذه القاعدة على كمية المعلومات التي يجب توفيرها، وقد تفرعت عن هذه القاعدة قاعدتان فرعيتان:

- لتكن مشاركتك على قدر كافٍ من المعلومات.
- لا تكن مشاركتك بمعلومات تفوق ما هو مطلوب منك.

وقد أطلق الدكتور طه عبد الرحمن على هاتين القاعدتين [قاعدتا الخبر] [(١)].

ويمكن بيان ذلك بالمخطط الآتي:

---

(١) د. طه عبد الرحمن: اللسان والميزان أو التكوثر العقلى، ص٢٣٨..

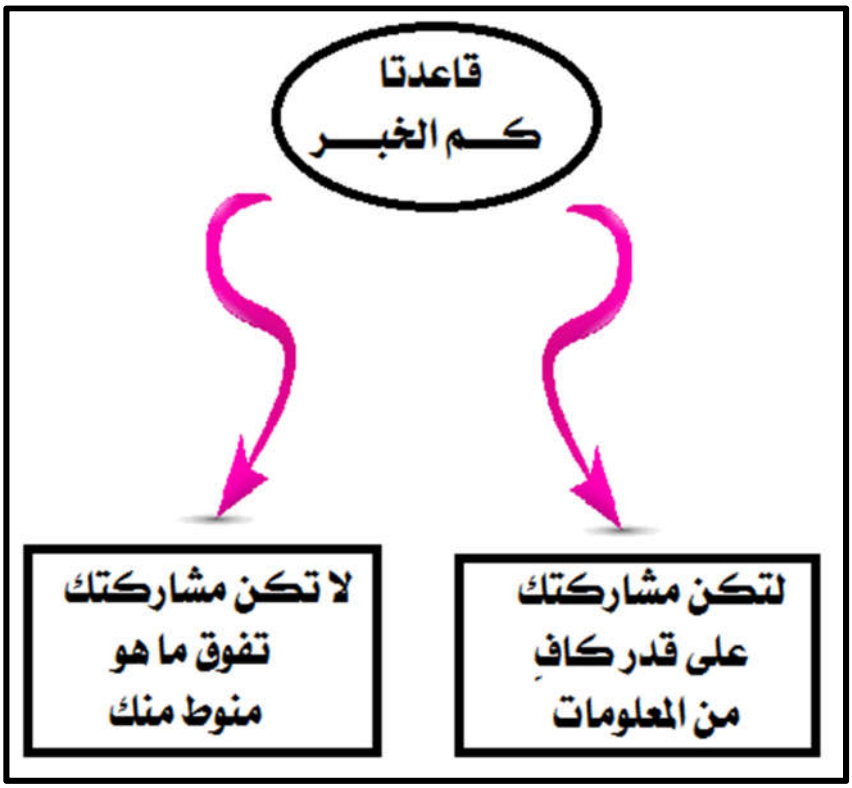

ويوضح الدكتور نحلة هذه القاعدة من خلال المثال الآتي؛ حيث يقول: [إذا قالت أم لابنها: هل اغتسلت ووضعت ملابسك في الغسالة؟ فأجاب الابن: نعم. اغتسلت، فهنا يكون الابن خرق قاعدة الكم؛ إذ إنه أجاب عن جزء من السؤال، وترك الجزء الآخر، فمشاركة الابن هنا ناقصة من ناحية الكم؛ مما يجعل الأم تفهم فهمًا آخر] (١) .

(١) د. محمد أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوى المعاصر، دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٢م، ص٣٤ بتصرف.

ومن خلال مطالعتنا للمناظرة يتضح جليًا قدرة وبلاغة النبي ﷺ في مراعاة هذا الجانب؛ إذ إن عتبة بن ربيعة تميز بالدهاء والذكاء في مناظرته تلك؛ لأنه كان حريصًا على التأثير والإقناع لدى المخاطب [النبي ﷺ]؛ لذا، فقد عمد إلى بيان مكانة النبي ﷺ، ثم أخذ في تقديم ما يمكن أن نطلق عليه بـ [الإغراءات]، وذلك من خلال طرح حزمة من المحفزات أو العروض السخية، التي من شأنها أن تغرى المخاطبَ، وتجعله يرجع عن الطريق الذى يسير فيه على حسب زعمه.

يقول عتبة بن ربيعة: [يا ابن أخي ... إنك منَّا حيث قد علمت من السطة في العشيرة، والمكان في النسب] (١) .

بهذه المقدمة الاستهلالية الخبيثة، والقدرة الفائقة في كسب المخاطب، بدأ عتبة بن ربيعة ببيان مكانة النبي ﷺ، من حيث عراقة أصله ونسبه.

وبعد هذه المقدمة، بدأ عتبة في تقديم السم في العسل كما يقولون؛ حيث لجأ إلى إغراء النبي ﷺ بمجموعة من العروض التي لم تفلح مع النبي ﷺ، يقول عتبة: [فاسمع منى أعرض عليك أمورًا تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها] (٢) .

وقد تمثلت هذه العروض الأربعة فيما يأتي:

---

(١) ابن هشام: السيرة النبوية، ج١/ ٣١٣.

(٢) نفسه.

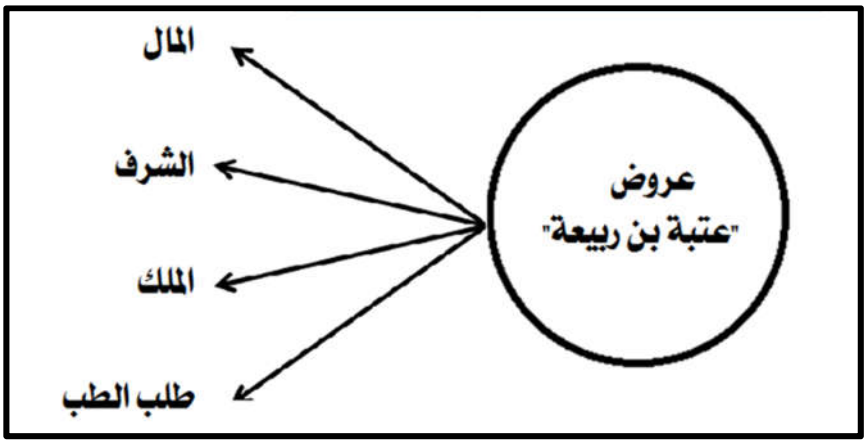

واللافت للنظر أن عتبة بن ربيعة كان خبيثًا في تقديم هذه العروض الأربعة؛ حيث راعى فيها الترتيب من حيث الأهمية، فالمال يلهث ورائه الجميع؛ الغني قبل الفقير، ثم بعد ذلك يأتي الجاه، ثم الملك، وأخيرًا يأتي العرض الأخير [تقديم الطب]، وعلى الرغم من هذه العروض السخية إلا أن النبي ﷺ لم يلتفت إليها، بل اكتفى ﷺ بالرد على عتبة بن ربيعة من خلال آيات من القرآن الكريم(١) .

والناظر لحديث النبي ﷺ مع عتبة بن ربيعة بعد تقديم هذه العروض يلحظ أنه لم يستطرد في رده؛ لأن النبي ﷺ على علم بخبث عتبة بن ربيعة، فكل طرف منهما على علم بالآخر؛ فالنبي ﷺ يعرف من هو عتبة بن ربيعة من حيث ذكاؤه، ودهاؤه، وخبثه، وعتبة بن ربيعة يعرف من هو محمد ﷺ من حيث بلاغته، ذكاؤه، وقدرته على التأثير والإقناع.

وبناءً عليه، تسهم هذه المعرفة المشتركة في فهم بعضهما للآخر، وعلى العكس من ذلك، فإن عدم وجود تفاهم مشترك، ومعرفة مشتركة بين الطرفين يقف عائقًا أمام فهم بعضهما للآخر، وهو الأمر الذى أكد عليه لايكوف وجونسون في قولهما:

(١) ابن هشام: السيرة النبوية، ج١/ ٣١٣.

[عندما يختلف الطرف المتحاوران في نفس القيم، ونفس الثقافة، والمعرفة، فإن فهم بعضهما للآخر يكون صعبًا] (١) .

ويمكننا أن نقول: إن التقارب المعرفي قد بدا واضحًا في هذه المناظرة، الأمر الذي ترتب عليه تحقيق التواصل بالشكل الفعال بين طرفي المناظرة؛ حيث أسهمت بعض الهيئات التركيبية في نجاح هذا التواصل من حيث توزيع الأدوار بالشكل المنظم، فما بين تقديم العروض ورد النبي ﷺ يقوم الفعل [قال] بدور مهم في ضبط سير المناظرة بشكل منظم لطرفيها.

فمن خلال المناظرة رأينا الفعل [قال] يقوم بدور مفصلي في سير المناظرة؛ حيث تسند إليه مهمة خطيرة، وهي توزيع الأدوار، فهو بمثابة الفاصل المحوري بين مداخلة الرسول ﷺ، وعتبة بن ربيعة، فإذا أنهى طرف منهما كلامه، جاء الفعل [قال] معلنًا بداية دور الطرف الآخر.

وبذلك، يكون الفعل [قال] قد أدى دورًا مهمًا في ضبط المناظرة، الأمر الذى ترتب عليه أن جاءت المناظرة مترابطة تركيبيًا ودلاليًا في آن واحد.

واللافت للنظر أن استعمال الفعل [قال ومشتقاته] قد أسهم بدور مهم في مراعاة هاتين القاعدتين، ويؤكد ذلك [جرايس] حينما قال: [إن أي عملية تحاورية لا بد من طرفيها الالتزام بمجموعة من القواعد التي من شأنها أن تسهم في وضوح الخطاب] (٢) .

---

(١) جورج لايكوف ومارك جونسون: الاستعارات التى نحيا بها، ترجمة: عبد المجيد جحفة، دار توبقال، المغرب، ط١، ١٩٩٦م، ص٢١٦ بتصرف.

(٢) سامية محصول: الاستلزام الحوارى في القرآن الكريم. مجلة اللغة العربية وآدابها، بوزريعة، الجزائر، العدد [١]، المجلد [٥]، ٢٠١٧م، ص٢٦ بتصرف.

وبناءً على كل ما تقدم، فطرفا العملية التخاطبية هما من يحققان هذا التعاون؛ حيث يشترك كل من المخاطِب والمخاطَب لتحقيق الهدف الأساسي من التواصل ألا وهو تحقيق الإفادة بالشكل المطلوب الذى يسهم في نجاح التواصل، فالهدف المرجو تحقيقه من هاتين القاعدتين هو هدف تنظيمي بحت يتمثل في تنظيم عملية التواصل بين الطرفين.

[ب] قاعدة الكيف:

وتركز هذه القاعدة على صدق/كذب المعلومات، وقد تفرعت عن هذه القاعدة قاعدتان فرعيتان[1] :

- لا تقل ما تعتقد أنه كاذب.
- لا تقل ما يفتقرك الدليل عليه.

ويمكن بيان ذلك بالمخطط الآتي:

(١) د. طه عبد الرحمن: اللسان والميزان، ص٢٣٨ بتصرف.

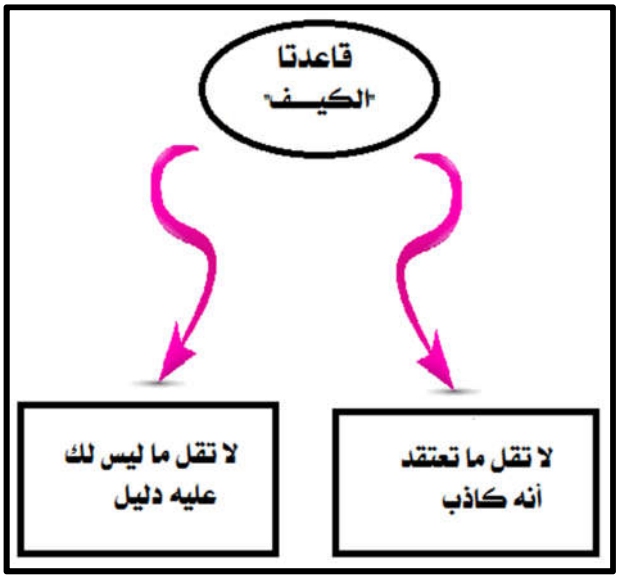

ويوضح الدكتور نحلة هذه القاعدة من خلال المثال الآتي:

[عندما يقول الابن لأبيه: أسوان توجد في السودان، أليس هذا صحيحًا يا أبى؟ فيجيب الاب: طبعًا والرياض في أمريكا، فالأب هنا أجاب الابن بإجابة غير صحيحة، مخالفًا بذلك قاعدة الكيف] (١) .

ومن خلال المناظرة، نلحظ أن الحجة والغلبة كانت مع النبي ﷺ، لأنه استشهد بكلام ليس من كلام البشر، ولكنه كلام أعلى وأبلغ من كل كلام، فهو كلام يعلو ولا يعلى عليه، ألا وهو القرآن الكريم، فلم يستطع [عتبة بن ربيعة] أن ينكره، مما يعطيه قوة حجاجية أكبر، الأمر الذى ترتب عليه التأثر الشديد والواضح من خلال تعبيرات وجهه أمام قريش، وهو ما يبدو واضحًا من خلال قول أحدهم بعد رجوعه إليهم: [نحلف بالله لقد جاءكم عتبة بن ربيعة بغير الوجه الذى ذهب به] (٢) .

---

(١) د. محمد أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص٣٧ بتصرف.

(٢) ابن هشام: السيرة النبوية، ج١/ ٣١٤ بتصرف.

والحقيقة لم تكن تعبيرات وجه [عتبة بن ربيعة] وحدها التي كشفت هذا التحول والتغيير الذى لحق بـ [عتبة] ، بل ثمة دليل آخر على هذا التغيير الذى طرأ عليه، ويتمثل هذا الدليل في الحوار الذى دار بين عتبة بن ربيعة وقريش[1].

ويمثل التركيب الاستفهامي [ما وراءك يا أبا الوليد] مرتكزًا ضوئيًا في الحوار؛ فمن خلاله أراد [عتبة بن ربيعة] أن يحق الحق، ويثبت لـ [قريش] خطأ زعمهم، وهو في سبيل ذلك عمد إلى استعمال عدة أساليب مختلفة، أسهمت كلها في بيان صحة ما ذكره.

ويمكن بيان هذه الأساليب على النحو الآتي:

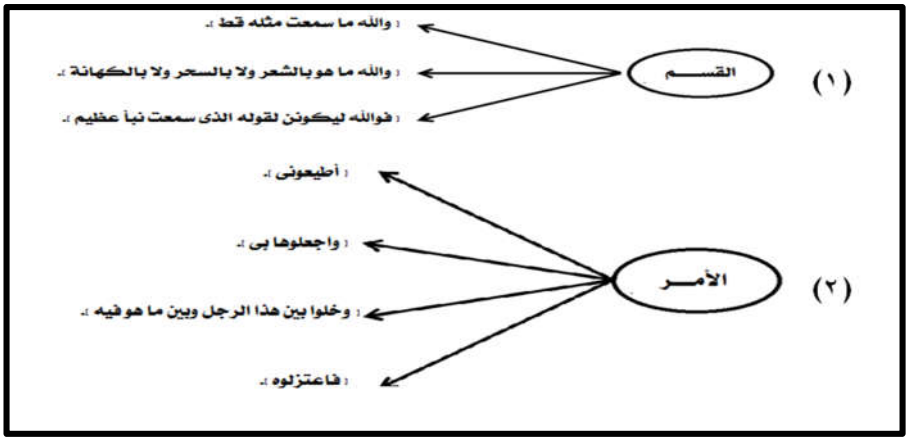

(١) نفسه.

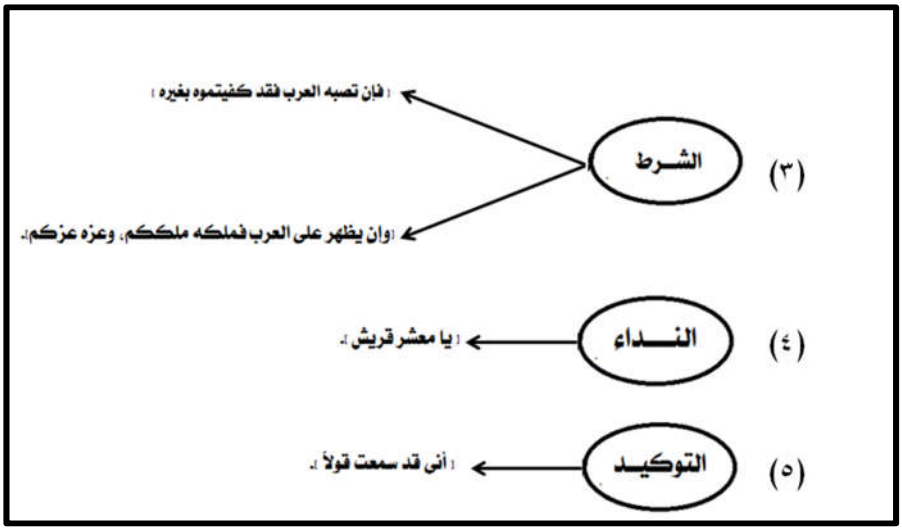

ولا شك أن هذه الأساليب الخمسة التي حشدها في حواره مع قريش تؤكد على هذا التحول الذى طرأ عليه، والدليل على ذلك أنهم قالوا: [سحرك والله يا أبا الوليد] (١).

والجدير بالذكر أن حديث عتبة بن ربيعة مع قريش ليؤكد على حقيقة مهمة، وهي تأثره الشديد واقتناعه التام بصدق الرسول ﷺ، ولكن عتبة شأنه شأن المشركين؛ إذ إنه أصرَّ على موقفه وعناده.

[ج] قاعدة العلاقة:

وقد أطلق عليها الدكتور طه عبد الرحمن [علاقة الخبر بمقتضى الحال] (٢)، وتركز هذه القاعدة على أن تقول [ما له صلة بالموضوع] (٣)، ويشرح الدكتور نحلة

(١) نفسه.
(٢) د. طه عبد الرحمن: اللسان والميزان، ص٢٣٨.
(٣) جرايس: المنطق والمحادثة، ص١٨٩ بتصرف.

هذه العلاقة قائلًا: [أن يجعل المخاطب كلامه مرتبطًا بالموضوع، فلو سال أحد صاحبه/ أين محمد؟ فيجيبه: ثمة سيارة صفراء مركونة أمام منزل خالد.... فهذا انتهاك واضح لقاعدة العلاقة] (١) .

والجدير بالذكر أن المناظرة لم تنتهك هذه القاعدة؛ حيث إنها اتسمت بتناول فكرة واحدة، فاتسمت بوحدة الموضوع، وبناءً عليه، جاءت المناظرة مترابطة تركيبيًا ودلاليًا في آن واحد، ولا شك أن هذا الترابط التركيبي والدلالي [وحدة الموضوع] يؤدي دورًا مهمًا في ضبط الخطاب، أما إذا لم يكن الكلام متفقًا مع السياق، فهذا هو الانتهاك بعينه لقاعدة العلاقة، فـ "هب أن والد أحد التلاميذ سأل المدرس عن مستوى ابنه في مادة اللغة العربية، فأجاب المدرس: بأن ابنه لديه شغف بمادة العلوم، فهنا يكون المعلم قد خرج عن قاعدة العلاقة؛ لأن إجابته لم تكن متفقة مع السؤال] (٢) .

ويمكن توضيح هذه العلاقة من خلال المخطط الآتي:-

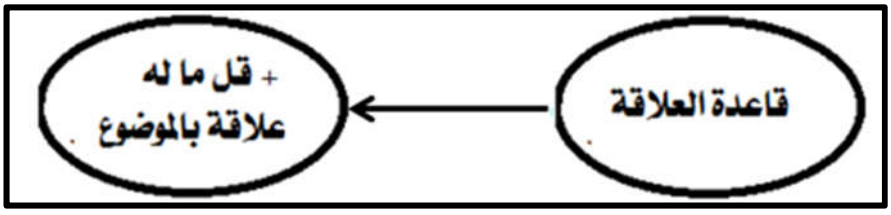

(١) د. محمد أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوى المعاصر، ص٣٥ بتصرف.

(٢) جمال حمود: فلسفة اللغة عند فتغشتاين، منشورات الاختلاف، ط١، ٢٠٠٩م، ص٢٤٧ بتصرف..

فالمتأمل في نص المناظرة يلحظ أن المتناظرين [النبي ﷺ / عتبة بن ربيعة] حرص كل طرف منهما على أن يكون كلامه مرتبطًا بموضوع المناظرة، وهو الأمر الذى يحفز الطرف الآخر على الإصغاء(١) .

[د] قاعدة الجهة:

ويطلق عليها أيضًا [قاعدة الوضوح والشفافية] (٢).

ولقد تفرعت أربع قواعد عن هذه القاعدة، وهي(٣) :

- ابتعد عن الغموض.
- ابتعد عن اللبس.
- التزم الإيجاز.
- التزم ترتيب كلامك.

ووفقًا للمناظرة [موضوع البحث]، فإن الملاحظ أن طرفا المناظرة قد التزما التزامًا كاملًا بهذه القواعد الأربع، فلم يخالفا قاعدة منهم، فوفقًا للقاعدة الأولى [ابتعد عن الغموض]، فقد جاءت المناظرة واضحة تمامًا، وظهر هذا الوضوح جليًا على مستوى المفردات، والتراكيب، والدلالات، ومن هنا لم نر مفردة، أو تركيبًا غامضًا أو خفيًا.

---

(١) للمزيد عن دور هذه العلاقة في التبليغ ينظر:

- نوارى سعودى أبو زيد: في تداولية الخطاب الأدبى... المبادئ والإجراءات، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، سطيف، الجزائر، ط١، ٢٠٠٩م، ص٣٠.

(٢) د. ذهبية حمو الحاج: لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، د. ط، د.ت، ص١٧٣.

(٣) د. طه عبد الرحمن: اللسان والميزان، ص٢٣٩ بتصرف.

والجدير بالذكر أن كلا الطرفين قد التزما كاملًا بهذه القاعدة، من حيث انتقاء المفردات بعناية فائقة، الأمر الذى كان له دور مهم في نجاح المناظرة.

ووفقًا للقاعدة الثانية [ابتعد عن اللبس]، فقد التزم الطرفان بالابتعاد عن اللبس، والإجمال، إذ إنه "يطلب تفسيرًا وتفصيلًا، وهذا ما لا يستقيم والقصد التداولي والحجاجي للمناظرة"(١) .

ووفقًا للقاعدة الثالثة [الالتزام بالإيجاز]، فقد جاءت المناظرة موجزة، فقد التزم الطرفان بإيجاز العبارة بألفاظ قليلة، كثيرة المعاني، ولم لا! فالرسول ﷺ أوتي جوامع الكلم، وعتبة بن ربيعة أحد حكماء قريش وبلغائها، فبدهي على مثلهما أن يوجزا في كلامهما؛ يقينًا منهما بأن كل طرف منهما يفهم الآخر، ويعي ما يقوله، فلا يحتاج أي منهما إلى الإطناب في الحوار.

وتأتى القاعدة الرابعة والأخيرة [التزم ترتيب الكلام]؛ حيث راعى المتناظران هذه القاعدة مراعاة تامة؛ فحرصًا على ترتيب كلامهما ترتيبًا لافتًا للنظر، فقد رتَّب كل طرف منهما كلامه وفق الهدف الذى يسعى لتحقيقه، فعتبة بن ربيعة حرص على مخاطبة القلب والعقل، وظهر ذلك بوضوح في بداية المناظرة؛ حيث استهلَّ مناظرته بخبث ودهاء؛ إذ إنه رفع قدر النبي ﷺ ؛ لتحقيق الإحراج النفسي، ثم بعد ذلك لجأ إلى التلميح بما يعده جرائم فظيعة، ومن هنا فقد عمد إلى ما يمكن أن نسميه بـ [الحرب النفسية] التي حاول أن يغلفها بالاحترام والتأدب.

بقى أن أشير إلى نقطة في غاية الأهمية، وهي أنه على المتخاطبين أن يلتزما بهذه القواعد، ويحرصا عليها؛ إذ لا بد أن يراعي المخاطِب إمكانات المخاطبَ من

---

(١) نور الدين اجعيط: تداوليات الخطاب السياسي، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ٢٠١٢م، ص١٤٢.

لغة، وثقافة، وحالة نفسية، فيتخذ كل ما يساعد على نجاح العملية التخاطبية من وسائل التبليغ؛ مثل: الحركة، والإشارة....إلخ[١] .

ولاشك أن التزام طرفي التخاطب بهذه القواعد يسهم بدور مهم في تذليل عملية التواصل، وإزالة كل ما هو عائق أمام التواصل، الأمر الذى يترتب عليه نجاح العملية التواصلية، وتحقيق أهدافها.

ثانياً: مبدأ التأدب:

وصاغت هذا المبدأ [لاكوف]؛ حيث انتقدت السابقين بالنظرة الضيقة، لاكتفائهم بالجانب الشكلي للحكم على صحة الجمل، وقد تفرعت عن هذا المبدأ قواعد ثلاث:-

- قاعدة التعفف. - قاعدة التشكيك. - قاعدة التودد

ويمكن بيان هذا المبدأ من خلال المخطط الآتي:

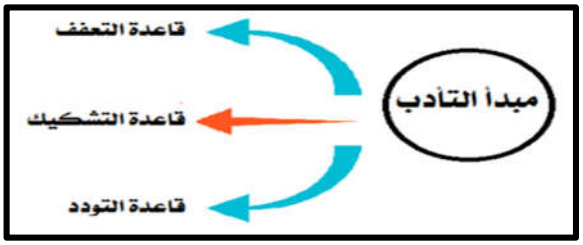

فأما عن القاعدة الأولى [قاعدة التعفف] فتنص على [عدم فرض نفسك على المخاطب] [٢] .

(١) عبد القادر عواد: آليات التداولية في تحليل الخطاب، مجلة البيان، العدد [٤٦]، يونيو، ٢٠١١م، ص٣٠.

(٢) د. طه عبد الرحمن: اللسان والميزان، ص٢٤٠.

وتحتم هذه القاعدة على المخاطب ألا يتفوه إلا ما يمكنه من حفظ مسافة من الاحترام بينه والمخاطب، فلا يلح عليه، ولا يكرهه على فعل شيء ما، ولا يطلب منه طلبًا مباشرًا فيحرجه(١) .

وقد حرص الطرفان على الالتزام بهذه القاعدة، فعلى مدار المناظرة كان الاحترام والتأدب هو صمام الأمان للطرفين، فلم يخرج أي منهما عن دائرة الاحترام والتأدب للطرف الآخر، ولم يلح أي منهما على الآخر، ولم يطلب أي طرف منهما طلب مباشرًا من الآخر، بل على العكس من ذلك، فقد التزما الطرفان بكل الوسائل التي أسهمت في سير المناظرة بالشكل المطلوب، وعدم انتهاكها لأي مبدأ أو قاعدة من قواعد التخاطب، والدليل على ذلك استعمال تركيب النداء [يا ابن أخي] مرتين على مدار المناظرة، فعلى الرغم من خبث ودهاء عتبة بن ربيعة في استعماله، إلا أنه يوضح مدى حرصه على تطويع خطابه العاطفي؛ لكسب ود واحترام النبي ﷺ.

وأما عن القاعدة الثانية [قاعدة التشكيك] "فتحتم على المتكلم ألا يستعمل أساليب الأمر، وأن يكثر من أساليب الالتماس"(٢) .

فوفقًا لهذه القاعدة يسمح للمخاطب حق الاختيار بين القبول والرفض، فمثلًا يسمح له أن يستعمل أساليب الاستفهام في التخاطب؛ كي يسمح للمخاطب بالمشاركة في اتخاذ القرار وعدم إلزامه بأسلوب الأمر المباشر.

---

(١) نفسه، بتصرف يسير.

(٢) جاك موشلار وربول آن: التداولية اليوم. علم جديد في التواصل، ترجمة: سيف الدين دغفوس ومحمد الشيبانى، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط١، ٢٠٠٣م، ص٥٨ بتصرف.

والحقيقة أن آلية الاستفهام كانت من الآليات المستعملة وفقًا لهذه القاعدة؛ حيث عمد النبي ﷺ إلى توظيف أسلوب الاستفهام في المناظرة؛ مثل قوله: [أقد فرغت يا أبا الوليد] (١) .

وأما القاعدة الثالثة والأخيرة [قاعدة التودد]، ومعنى هذه القاعدة أن "تظهر الود لتكسب المخاطب؛ حيث تحتم على المخاطِب أن يتعامل مع المخاطبَ معاملة الند للند، ولكي تؤتي هذه القاعدة أكلها يجب أن يكون المخاطب أعلى مرتبة من المخاطب، أو يساويه، ويتم ذلك باستعمال صيغ التصغير والكنى والألقاب، ولا شك أن استعمال هذه تؤنس المخاطب وتطمئنه"(٢) .

ووفقًا لهذه القاعدة، فقد التزم الطرفان التزامًا واضحًا؛ لحرص كل واحد منهما أن يكسب الطرف الآخر في صفه، أو على الأقل إقناعه بوجهة نظره، فعلى الرغم من الطريقة الشيطانية التي لجأ إليها [عتبة بن ربيعة] في مناظرته مع النبي ﷺ، أقول على الرغم من ذلك، فقد كان الرسول ﷺ مثالًا في قمة الأدب والتودد معه، حيث سمعه حتى أنهى كلامه، ولم يكتف بذلك، بل ناداه بكنيته وأحبها إليه [أبا الوليد]؛ رغبة في التودد إليه، وطمأنته.

وتعد هذه الكنية من الممهدات اللغوية التي قد لا تحمل رسالة بقدر ما توطئ لها، ويشير أحد الباحثين المعاصرين إلى أهمية هذه الممهدات اللغوية قائلًا: "فهي تزيل العداوة بين الطرفين، وتفعل روابط التواصل بينهما، فتخفف من محتوى الرسالة الذى قد يكون قاسيًا أو مؤلمًا للآخر، ويندرج في الملطفات عبارات التحيات التي

(١) ابن هشام: السيرة النبوية، ج١/ ٣١٣.

(٢) د. عبد الهادى بن ظافر الشهرى: استراتيجيات الخطاب، ص١٠٢.

تأتي من باب التودد أو الواجب الاجتماعي"[1] .

وقد تكون مثل هذه التعبيرات التأديبية ستارًا يخفي المشاعر الحقيقية لأحد الطرفين أو كليهما، وهو ما حدث في هذه المناظرة؛ حيث أخفى [عتبة بن ربيعة] مشاعره الحقيقية وراء هذا التركيب [يا ابن أخي].

ثالثاً: مبدأ التأدب الأقصى

ويركز هذا المبدأ على التزام طرفي الحوار بعبارات التأدب، والحد من العبارات غير اللائقة، وهذا الالتزام من قبل الطرفين يسهم في استمرار وتعاون الطرفين، الأمر الذى يترتب عليه تقوية التواصل بينهما.

وعلى أية حال، فمراعاة قانون التأدب لا يعني إغفال المتكلم الحقيقة، ولكن يعنى وصول الحقيقة في سياق تأدبي يبعد عن أي عنف لغوي، فهذا التأدب لا ينقص بحال من الأحوال أو يقلل من شأن المتكلم، بل على العكس تمامًا، يعلى قدرة عند المخاطَب.

وقد التزم كل من الطرفين للقواعد الست التي تفرعت عن مبدأ التأدب الأقصى، وظهر هذا جليًا في استعمال تركيب النداء [يا ابن أخي] من جانب [عتبة بن ربيعة]؛ فمرة بدأ به؛ تودداً وتقربًا لرسول الله ﷺ، ومرة أخرى، استعمله بخبث ودهاء؛ لتقديم العروض الأربعة، وما بين المرتين، يظهر حرص [عتبة بن ربيعة] على دعم موقفه؛ حتى يكون مؤثرًا ومقنعًا لدى الطرف الآخر [الرسول ﷺ] الذى ضرب المثل في تأدبه حتى مع أعدائه؛ فانتظر حتى أنهى عتبة بن ربيعة كلامه، وهو يسمعه، فقال [أقد

---

(١) د. عماد سعد شعير: مبدأ التأدب في خطاب الرئيس المصرى محمد أنور السادات في الكنيست الإسرائيلي، مجلة الخطاب، جامعة مولو معمرى تيزى وزو، كلية الآداب، المجلد [١٥]، العدد [١]، ٢٠٢٠م، ص٢٦٩.

فرغت يا أبا الوليد] [١] ، ثم بدأ دوره ﷺ؛ فبدأ حديثه بآيات من القرآن الكريم؛ يقينًا منه بتأثيرها وحجتها القوية، ثم قال: [قد سمعت يا أبا الوليد، فأنت وذاك] [٢] .

فانظر إلى حرص النبي ﷺ مراعاة قواعد التأدب؛ فلم يجبره ﷺ على شيء، وإنما ناداه بكنيته المحببة إليه، ولم يكتف بذلك، بل ترك له حرية الاختيار، إيمانًا منه ﷺ بأنه [لا إكراه في الدين] [٣] .

والحقيقة أنه لا ربط بين التعبيرات التأديبية وما تلقيها؛ لأن المخاطبَ ليس في موضع رفضه أو قبوله، فالطرفان ندان، وبناءً عليه، فالمخاطب له الحرية في التعبير بالطريقة التي يريدها، فـ [عتبة بن ربيعة] على وعي تام بأهمية هذه التعبيرات، ودورها المهم في التأثير على المخاطب، فاختيار الكلمة / التركيب له دور مهم في توطيد العلاقات أو هدمها.

والجدير بالذكر أنه على الرغم من الدور المهم الذى تؤديه تلك التعبيرات التأديبية في إحداث الانسجام والتقارب بين طرفي الخطاب، فإنها قد توظيف توظيفًا غير مناسب؛ حيث يستخدمها كثير من السياسيين بوصفها وسيلة مهمة من وسائل الخداع والتمويه والتضليل، وهذا ما كان يقصده [عتبة بن ربيعة] من وراء استعماله لتركيب النداء [يا ابن أخي].

ويمكن بيان ذلك من خلال المخطط الآتي:

---

(١) ابن هشام: السيرة النبوية، ج١/ ٣١٤.

(٢) نفسه.

(٣) البقرة/ ٢٥٦.

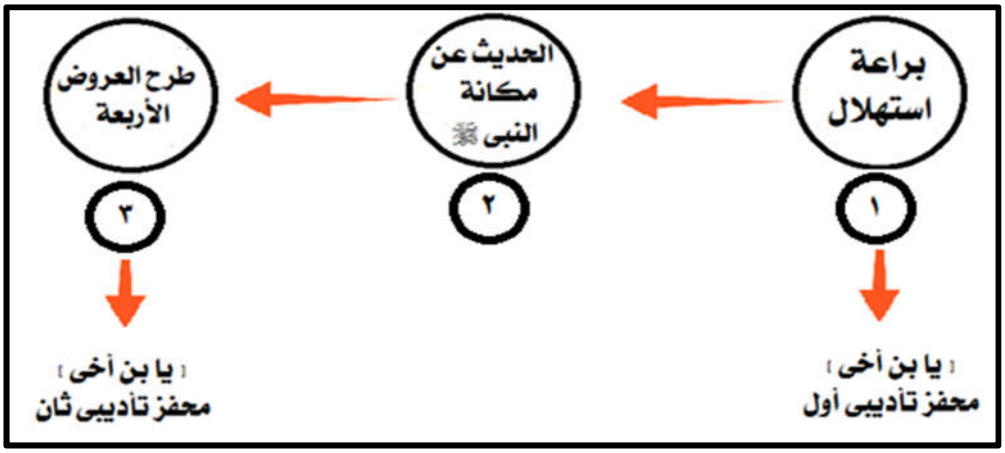
براعة استهلال
١
[يا بن أخى]
محفز تأديبى أول
الحديث عن مكانة النبى ﷺ
٢
طرح العروض الأربعة
٣
[يا بن أخى]
محفز تأديبى ثان

[٤] نتائج البحث

في نهاية هذه الدراسة، التي تناولت موضوع [مبادئ التخاطب في الخطاب السياسي... مناظرة النبي ﷺ لعتبة بن ربيعة نموذجًا]، وقد أثمرت الدراسة عددًا من النتائج؛ منها:-

١- كانت المناظرات – ولازالت – حقلًا ثريًا للدرس اللساني الحديث؛ باعتباره درسًا يهتم بدراسة الإمكانات التي تتيحها اللغة لمستخدميها.

٢- تأكد من خلال البحث الدور الحيوي الذى تقوم به مبادئ التخاطب في تماسك الكلام.

٣- كان المبدأ الأول من مبادئ التخاطب [مبدأ التعاون] هو المبدأ الأساسي الذى يعتمد عليه الاستلزام الحوارى من أجل ترتيب الحدث الكلامي.

٤- تميز المبدأ الثاني من مبادئ التخاطب [مبدأ التأدب] بالعموم والشمول؛ إذ إنه جمع بين الجانب التبليغي والتهذيبي، وهما جانبان أساسيان من جوانب الخطاب.

٥- عمد طرفا المناظرة إلى تنوع أسلوبهما بين الخبر والإنشاء؛ حتى لا يسير أسلوبهما على نمط واحد.

٦- أدت الخلفية المعرفية دورًا مهمًا في الكشف عن قصدية المتكلم.

٧- على الرغم من الدور المهم الذى تؤديه التعبيرات التأديبية في إحداث التقارب بين طرفي الخطاب، إلا أنها قد توظف توظيفًا غير مناسب.

٨- لا علاقة بين التعبيرات التأديبية وما تلقيها؛ إذ إن الطرفين ندان.

٩- على الرغم من وحدة هدف هذه المبادئ، إلا أنها تتفاضل فيما بينها، وربما يكون السبب من وجهة نظري هو اختلاف الباحثين.

١٠- التزام الطرفين بمبادئ الخطاب قد أسهم بدور كبير في سير المناظرة إلى قمة التأدب والتلطف.

١١- ظهر من خلال البحث حرص الطرفين على استعمال آلية الاستفهام التي تتيح للمخاطب حق الاختيار بين القبول والرفض.

١٢- ظهر من خلال البحث حرص الطرفين على استعمال الكنية واللقب، ولا شك أن استعمال هذه تؤنس المخاطب وتطمئنه.

١٣- وظف طرفا المناظرة التعبيرات التأديبية توظيفًا جيدًا؛ حيث جعلا هذه التعبيرات ممهدات لطرح الموضوع الأساسي؛ فتعبيرات مثل [يا ابن أخي]، [يا أبا الوليد] وردت مرتين لكل منهما ابتداءً ووسطًا وختامًا.

نص المناظرة

قال ابن إسحاق: وحدثني يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظي قال: حدثت أن عتبة بن ربيعة، وكان سيدًا، قال يومًا وهو جالس في نادي قريش، ورسول الله ﷺ جالس في المسجد وحده: يا معشر قريش، ألا أقوم إلى محمد فأكلمه وأعرض عليه أمورًا لعله يقبل بعضها فنعطيه أيها شاء، ويكف عنا؟ وذلك حين أسلم حمزة ورأوا أصحاب رسول الله ﷺ يزيدون ويكثرون؛ فقالوا: بلى يا أبا الوليد، قم إليه فكلمه؛ فقام إليه عتبة حتى جلس إلى رسول الله ﷺ فقال: [يا ابن أخي]، إنك منا حيث قد علمت من السطة في العشيرة، والمكان في النسب، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم، وسفهت به أحلامهم، وعبت به آلهتهم ودينهم، وكفرت به من مضى من آبائهم.

فاسمع مني أعرض عليك أمورًا تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها، قال: فقال له رسول الله ﷺ: [قل يا أبا الوليد]، أسمع؛ قال: [يا ابن أخي]، إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالًا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالًا، وإن كنت تريد شرفًا سودناك علينا؛ حتى لا تقطع أمرًا دونك، وإن كنت تريد به ملكًا ملكناك علينا؛ وإن كان هذا الذي يأتيك رئيا تراه لا تستطيع رده عن نفسك، طلبنا لك الطب، وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه، فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه أو كما قال – حتى إذا فرغ عتبة، ورسول الله ﷺ يستمع منه، قال: [أقد فرغت يا أبا الوليد؟] قال: نعم؛ قال فاسمع مني؛ قال: أفعل؛ فقال: "بسم الله الرحمن الرحيم. حم. تنزيل من الرحمن الرحيم. كتاب فصلت آياته قرآنًا عربيًا لقوم يعلمون. بشيرًا ونذيرًا فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون. وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه وفى آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل إننا عاملون". (فصلت١: ٥)

فلما سمعها منه عتبة أنصت لها وألقى يديه خلف ظهره معتمدًا عليهما يسمع

منه؛ ثم انتهى رسول الله ﷺ إلى السجدة منها، فسجد ثم قال: قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت، فأنت وذاك.

فقام عتبة إلى أصحابه، فقال بعضهم لبعض: نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذى ذهب به.

فلما جلس إليهم قالوا: ما وراءك يا أبا الوليد؟ فقال ورائي أني قد سمعت قولًا والله ما سمعت مثله قط، والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة، يا معشر قريش، أطيعوني واجعلوها بي، وخلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه، فوالله ليكونن لقوله الذى سمعت منه نبأ عظيم، فإن تصيبه العرب فقد كفيتموه بغيره، وإن يظهر على العرب فملكه مللكم، وعزه عزكم، وكنتم أسعد الناس به؛ قالوا: سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه؛ قال: هذا رأيي فيه، فاصنعوا ما بدا لكم.

(٥) قائمة المصادر والمراجع

أولًا: مصدرا الدراسة:

١- القرآن الكريم.

٢- ابن هشام [عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميرى ت٢١٣هـ]: السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبيارى، دار المعرفة، بيروت، لبنان، د.ت.

ثانياً: المصادر والمراجع العربية:

١- اجعيط [نور الدين]: تداوليات الخطاب السياسي، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ٢٠١٢م.

٢- أدراوى [العياشى]: الاستلزام الحوارى في التداول اللسانى... من الوعى بالخصوصيات النوعية للظاهرة إلى وضع القوانين الضابطة، منشورات الاختلاف ، دار الأمان، الرباط، ط١، ٢٠١١م.

٣- بلعلى [آمنة]: المنطق التداولي عند طه عبد الرحمن وتطبيقاته، مجلة اللغة والأدب، جامعة الجزائر، ملتقى علم النص، العدد [٩٧]، ٢٠٠٦م.

٤- بوقمرة [عمر]: قوانين الخطاب من جرايس إلى طه عبد الرحمن ... دراسة نقدية، مجلة أمارات في اللغة والأدب والنقد، المجلة [٥]، العدد [٢]، ٢٠٢١م.

٥- جاد الكريم [عبدالله]: التداولية في الدراسات النحوية، مكتبة الآداب، القاهرة، ط١، ٢٠١٤م.

٦- جرايس: المنطق والمحادثة، ترجمة: محمد الشيبانى، سيف الدين دغفوس، مجلة سيمائيات، جامعة وهران، الجزائر، العدد [١]، ٢٠٠٥م،

٧- الحاج [ذهبية حمو]: لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، د.ط، د.ت.

٨- الحسن [شاهر]: علم اللغة السيماتيكية والبراغماتية في اللغة العربية، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ٢٠٠١م.

٩- حمود [جمال]: فلسفة اللغة عند فتغشتاين، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط١، ٢٠٠٩م.

١٠- خيرى [باسم]: التداولية وتحليل الخطاب... الرؤى والتمثلات، الشركة العربية المتحدة للتسويق، القاهرة، ط١، ٢٠١٧م.

١١- سعودى [نوارى]: في تداولية الخطاب الأدبى...المبادئ والإجراءات، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، سطيف، الجزائر، ط١، ٢٠٠٩م.

١٢- شعير [عماد سعد]: مبدأ التأدب في خطاب الرئيس المصرى محمد أنور السادات في الكنيست الإسرائيلى، مجلة الخطاب، جامعة مولو معمرى تيزى وزو، كلية الآداب، المجلد [١٥]، العدد [١]، ٢٠٢٠م.

١٣- الشهرى [عبد الهادى بن ظافر]: استراتيجيات الخطاب...مقاربة تداولية، دار الكتاب الجديد، المتحدة، بيروت، ط١، ٢٠٠٤م.

١٤- عبد الرحمن [طه]: اللسان والميزان أو التكوثر العقلى، المركز الثقافى العربى، بيروت، ط١، ١٩٩٨م.

١٥- عبد القادر [محمد]: من أدب الجدال والمناظرة *www.alukan.net* تاريخ الدخول ٢٠٢٤/٦/١م.

١٦- عواد [عبد القادر]: آليات التداولية فى تحليل الخطاب، مجلة البيان، العدد [٤٩]، يونيو، ٢٠١١م.

١٧- فضل [صلاح]: بلاغة الخطاب وعلم النص، عالم المعرفة، العدد [١٦٤]، الكويت، ١٩٩٢م.

١٨- لايكوف [جورج وآخر]: الاستعارات التي نحيا بها، ترجمة: عبد المجيد جحفة، دار توبقال، المغرب، ط١، ١٩٩٦م.

١٩- محصول [سامية]: الاستلزام الحوارى فى القرآن الكريم، مجلة اللغة العربية وآدابها، بوزريعة، الجزائر، العدد [١]، المجلد [٥]، ٢٠١٧م.

٢٠- موشلار [جاك وآخر]: التداولية اليوم... علم جديد فى التواصل، ترجمة: سيف الدين دغفوس ومحمد الشيبانى، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط١، ٢٠٠٣م.

٢١- الميدانى [عبد الرحمن حسن]: ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، دار القلم، دمشق، ط٧، ٢٠٠٤م.

٢٢- نحلة [محمد أحمد]: آفاق جديدة فى البحث اللغوى المعاصر، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٢م.

ثالثاً: المراجع الأجنبية:

1- Geoffrey Leach, Principles of pragmatics, Longman, London, 1983.

2- Hudson, R. A., "The meaning of question" Language, Vol. 51.

3- Lyons, J.: Linguistic Semantics, An Introduction Cambridge University Press, 1996.

4- Robin Lakoff: The logic of politeness. In papers from the Ninth Regional meeting Chicago. Linguistic society. Chicago, 1973.

5- Searle (J): Logic and conversation trard, fr, (in) communica on. No. 30, 1979.

6- Thomas, J: Meaning in interaction. An Introduction to Pragmatics. Longman, London and New York, 1996.